كتب الفراشة - حكايات محبوبة

شِروان أبُو الدُّبّاء



هٰذِهِ «حِكاياتٌ مَحْبوبَةٌ» رائِعَةٌ يُحِبُّها أَبْناؤُنا ويَتَعَلَّقونَ بِها. فالصِّغارُ مِنْهُمْ يَتَشَوَّقونَ إلى سَماعِ والِديهِمْ يَرْوونَها لَهُمْ؛ والقادِرونَ مِنْهُمْ عَلى القِراءَةِ يُقْبِلونَ عَلَيْها بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ، فيَتَمَرَّسونَ بِالقِراءَةِ ويَسْتَمْتِعونَ بِالحِكايَةِ. وهُمْ جَميعًا يَسْعَدونَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرُّسومِ المُلَوَّنَةِ البَديعَةِ الَّتي تُساعِدُ عَلى إثارَةِ الخَيالِ وتَكْمِلَةِ الجَوِّ القَصَصِيِّ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُساعِدُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ الصَّحيحَةِ.

شِرْوان أبو الدُّبّاء

أعادَ حِكايتَها : عَبْدُالله أبو مِدْحَت
مُراجَعَة : أحمد شَفيق الخَطيب



مَكتبة لبْنان



قِلَّةٌ مِنَ النَّبْتِ تَسْتَطيعُ احْتِمالَ سَفْعِ الشَّمْسِ وَشُحِّ المِياهِ في بِطاحِ الصَّحاري العَرَبِيَّةِ. وَالعاقولُ (أَوْ شَوْكُ الجِمالِ) هُوَ مِنْ هٰذِهِ القِلَّةِ – شُجَيْرَةٌ خَشِنَةٌ جَلْدَةٌ نَحيفَةُ الأَغْصانِ.

وَالعاقولُ يَقِدُ جَيِّدًا، لِذا اسْتَخْدَمَهُ السُّكّانُ وَقودًا في القُرى وَالبُلْدانِ المُتاخِمَةِ لِلصَّحْراءِ. وَكانَ الحَطّابونَ يَجِدونَ فيهِ سِلْعَةً رائِجَةً يَجْمَعونَهُ وَيَبيعونَهُ، فَيَعْتاشونَ بِما يَكْسِبونَ. وَتَبْدَأُ قِصَّتُنا الغَريبَةُ هٰذِهِ مَعَ مَسعودٍ، أَحَدِ هٰؤُلاءِ الحَطّابينَ في بَلْدَةِ الأُخَيْضِرِ – في واحَةٍ عَلى الطَّرَفِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بادِيَةِ الشّامِ.

كانَ مَسْعودٌ يَغْدو باكِرًا إلى البِطاحِ فَيَجْمَعُ كُومَةً مِنَ العاقولِ وَيَعودُ بِها إلى السُّوقِ. وَبِالقَليلِ مِنَ المالِ الّذي يَجْنيهِ كانَ يَشْتري خُبْزًا وَخُضَرًا يُقيمُ بِها أَوَدَ زَوْجَتِهِ وَوَلَدَيْهِ.

وَذاتَ يَوْمٍ تَلَبَّدَتِ السَّماءُ فَجْأَةً بِالغُيومِ وَأَمْطَرَتْ - وَهُوَ أَمْرٌ نادِرٌ في الصَّحْراءِ، وَلٰكِنَّهُ إِنْ حَدَثَ جاءَ شَديدًا. وَساحَتِ الأَرْضُ بِالوَحْلِ وَسَواقي المِياهِ المُزْبِدَةِ فَوْقَ الأَرْضِ الجَرْداءِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ مَسْعودٌ، في مِثْلِ هٰذا الطَّقْسِ، التَّوَجُّهَ لِجَمْعِ العاقولِ. فَبَقِيَ في بَيْتِهِ بِانْتِظارِ أَنْ تَنْقَشِعَ الغُيومُ وَتَجِفَّ الأَرْضُ.

وَتَساءَلَتِ الزَّوْجَةُ عَلى مَسْمَعِهِ بِصَوْتٍ عالٍ: «وَماذا يَأْكُلُ الأَوْلادُ، وَلَيْسَ لَدَيْنا مِنَ القُوتِ شَيْءٌ؟»

وَلَمْ يَنْبِسْ مَسْعودٌ بِبِنْتِ شَفَةٍ، بَلْ خَرَجَ يَروغُ مِنْ مَدْخَلِ بَيْتٍ إلى آخَرَ يَلْطو مِنَ المَطَرِ حَتّى جاءَ السُّوقَ.



وَفي السُّوقِ راحَ يَدورُ حَوْلَ البَسطاتِ مُفَتِّشًا عَمّا يَكونُ قَدْ نَبَذَهُ البائِعونَ مِنْ فاكِهَةٍ أَوْ خُضَرٍ مَضْروبَةٍ أَوْ تالِفَةٍ لِيَعودَ بِها إلى البَيْتِ فَتُعالِجَها امْرَأَتُهُ بِالسَّلْقِ أَوِ الطَّبْخِ.

وَوُفِّقَ مَسْعودٌ بِبِضْعِ جَزَراتٍ وَباذَنْجانَةٍ وَكُوسَةٍ؛ كَما عَثَرَ عَلى دُبّاءَةٍ صَفْراءَ عَجْفاءَ (لا تَصْلُحُ لِلأَكْلِ) حَمَلَها مَعَهُ أَيْضًا عَلَّهُ يَسْتَزْرِعُ بُزورَها في بُقْعَةٍ حَوالَى البَيْتِ.

وَأَعَدَّتْ زَوْجَةُ مَسْعودٍ وَجْبَةً شَهِيَّةً مِنْ لُقاطَةِ الخَضْراواتِ كانَتْ كافِيَةً لِرَدِّ غائِلَةِ الجُوعِ عَنِ العائِلَةِ – كَبيرِهِمْ وَصَغيرِهِمْ.



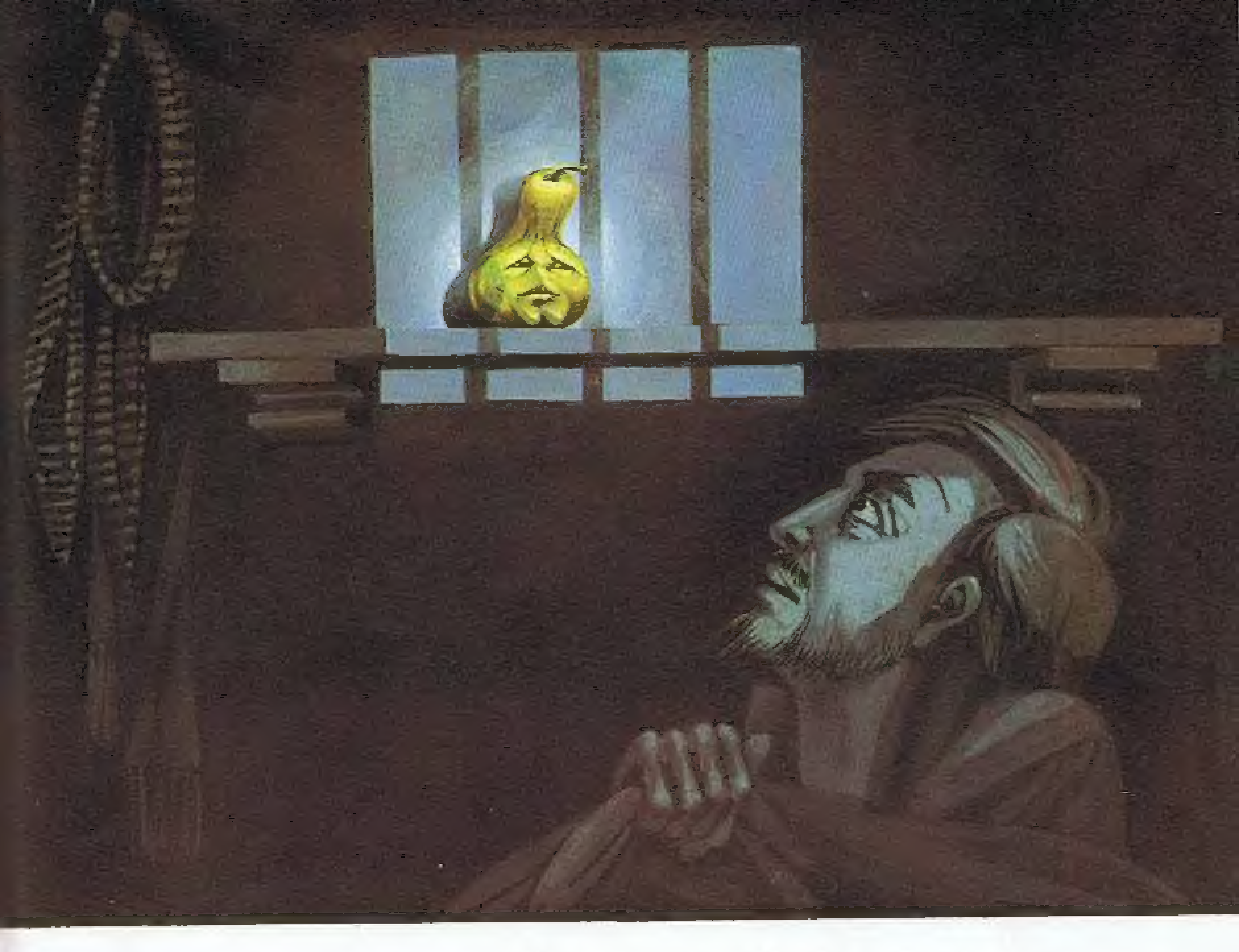


أمّا الدُّبّاءَةُ فَقَدْ وَضَعها مَسْعودٌ على رَفٍّ فَوْقَ سَريرِهِ. وَفي المَساءِ شكرَ فَضْلَ اللهِ وراحَ يَغِطُّ في نَوْمٍ عَميقٍ.

وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيلِ أَفاقَ مَسْعودٌ على صَوْتٍ حادٍّ يُناديهِ: «عَمّ مَسْعود، عَمّ مَسْعود!». «مَنْ وَما الأَمْرُ؟» أَجابَ الحَطّابُ، وَهُوَ يُوْجِسُ رَهْبَةً وَيَفْرُكُ عَيْنَيْهِ لِيرى في الظُّلْمَةِ.

وَرَدَّ الصَّوْتُ قائِلًا: «أَنا شِرْوان، أَميرٌ مِنَ الجانِ قُمِّصْتُ هٰذهِ اليَقْطينَةَ فَسَمَّوْني أَبا الدُّبّاءِ. أَنا وَلِيُّكَ وَوَلَدُكَ يا عَمّ مَسْعود. وَأُريدُ مِنْكَ أَنْ تَذْهَبَ إلى أَميرِ الأُخَيْضِرِ وَتُرَتِّبَ أَمْرَ زَواجي مِنِ ابْنَتِهِ لَميس.»

وَلَمْ يُصَدِّقْ مَسْعودٌ عَيْنَيْهِ حِينَما رَأى الدُّبّاءَةَ العَجْفاءَ تُحَدِّثُهُ في ضَوْءِ القَمَرِ الخافِتِ.



وَرَدَّ مَسْعودٌ قائِلًا : «إِنَّكَ تُضْحِكُني يا بُنَيَّ. أُنْظُرْ إِلَيَّ! أَتُراهُمْ يَسْمَحونَ لِحَطّابٍ صُعْلوكٍ مِثْلي أَنْ يَعْبُرَ بَوّاباتِ قَصْرِ الأَميرِ؟ إِنّي لَوْ وَصَلْتُ إِلَيْهِ وَحاوَلْتُ، بِحالي هٰذِهِ، تَرْتيبَ زَواجِكَ مِنِ ابْنَتِهِ، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَأْمُرُ بِضَرْبِ عُنُقي!. إِنّي ...».

فَقاطَعَهُ الصَّوْتُ قائِلًا بِلَهْجَةِ الآمِرِ : «أُمْدُدْ يَدَيْكَ يا عَمّ مَسْعود». وَما إِنِ اسْتَجابَ مَسْعودٌ حَتّى شَعَرَ بِثِقْلِ القِطَعِ الوَهّاجَةِ البارِدَةِ تَتَساقَطُ في كَفَّيْهِ المُجْتَمِعَيْنِ. وَتابَعَ الصَّوْتُ : «هٰذِهِ مِئَةُ قِطْعَةٍ ذَهَبِيَّةٍ. اِشْتَرِ بِها ما تَحْتاجُهُ مِنْ زينَةٍ وَثِيابٍ لِمُقابَلَةِ الأَميرِ وَتَرْتيبِ زَواجي مِنَ الأَميرَةِ الحَسْناءِ.»

وَانْقَطَعَ الصَّوْتُ تارِكًا الحَطّابَ ذاهِلًا يُحَمْلِقُ مَشْدوهًا في كُومَةِ القِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ بَيْنَ كَفَّيْهِ.

وَفي اليَوْمِ التّالي أَخْبَرَ مَسْعودٌ زَوْجَتَهُ بِما حَدَثَ وَكَأَنَّهُ الحُلْمُ ، لٰكِنَّ القِطَعَ الذَّهَبِيَّةَ تَشْهَدُ بِواقِعِيَّتِهِ. وَلَمْ يُضِعْ مَسْعودٌ وَلا زَوْجَتُهُ الوَقْتَ ، فَنَزَلا إِلى السّوقِ وَتَحَوَّجا – طَحينًا وَأَرُزًّا وَلَحْمًا وَفَواكِهَ وَخَضْراواتٍ وَمَلابِسَ وَأَحْذِيَةً لِجَميعِ أَفْرادِ العائِلَةِ.

وَكانَ يَوْمًا حافِلًا في بَيْتِ الحَطّابِ ارْتَدى فيهِ الجَميعُ ثِيابَهُمُ الفاخِرَةَ وَنَعِموا بِوَجْبَةٍ مُتْرَفَةٍ. ثُمَّ راحوا يُخَطِّطونَ بِحَماسٍ لِما يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلوهُ بِالثَّرْوَةِ الَّتي حَلَّتْ عَلَيْهِمْ – فَما زالَ هُناكَ الكَثيرُ مِنَ القِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ في حَوْزَتِهِمْ. وَفي المَساءِ خَلَدَ الجَميعُ إِلى فِراشِهِمْ مُرْهَقينَ ، لٰكِنْ في غايَةِ الرِّضى.



وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، تَمامَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، أَفاقَ الحَطّابُ عَلى الصَّوْتِ الحادِّ نَفْسِهِ يُناديهِ : «عَمّ مَسْعود ، عَمّ مَسْعود ! تُراكَ نَسيتَني ؟ هَلْ خَطَبْتَ لِيَ ابْنَةَ أَميرِ الأَخَيْضِرِ ؟»

وَتَطَلَّعَ مَسْعودٌ نَحْوَ الدُّبّاءَةِ عَلى الرَّفِّ بِحَرَجٍ وَاسْتِحْياءٍ ، ثُمَّ أَجابَ مُتَرَدِّدًا : «كَلّا ، ما نَسيتُكَ يا شِرْوان ، وَلٰكِنَّها الحاجَةُ . فَكَما تَرى أَنا رَجُلٌ فَقيرٌ ، وَقَدْ أَنْفَقْتُ المالَ عَلى مَلابِسَ وَطَعامٍ لِعائِلَتي .»

فَرَدَّ أَبو الدُّبّاءِ بِلَهْجَةِ الآمِرِ : «أُمْدُدْ كَفَّيْكَ» ، ثُمَّ صَبَّ لِمَسْعودٍ مِنَ القِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ ضِعْفَيْ ما نَقَدَهُ سابِقًا . وَتابَعَ قائِلًا : «اِذْهَبْ إِلى السّوقِ اليَوْمَ فَاشْتَرِ أَفْخَرَ الثِّيابِ وَحِصانًا مُطَهَّمًا وَاسْتَأْجِرْ ثَلاثَةً مِنْ أَفْضَلِ الخَدَمِ لِيَكونوا في صُحْبَتِكَ ، وَانْطَلِقْ إِلى قَصْرِ الأَميرِ لِتَخْطِبَ لِيَ الأَميرَةَ لَميس .»

وَصَمَتَ الصَّوْتُ ، لٰكِنَّ ثِقَلَ الذَّهَبِ في يَدَيْ مَسْعودٍ جَعَلَ أُذُنَيْهِ تَسْتَعيدانِ ما أُمِرَ بِهِ عِدَّةَ مَرّاتٍ .



وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَسْعودٌ هٰذِهِ المَرَّةَ عَمّا أُمِرَ بِهِ. فَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي انْطَلَقَ إلى السُّوقِ، فَاشْتَرى كُسْوَةً مِنَ الدِّيباجِ الفاخِرِ وَاخْتارَ لَهُ فَرَسًا سَوْداءَ مِنْ خيرَةِ الخَيْلِ أَصالَةً وَجَمالًا وَتَسْريجًا، كَما اسْتَأْجَرَ ثَلاثَةً مِنَ المُرافِقينَ انْتَقاهُمْ طِوالَ القامَةِ أَشِدّاءَ وَأَلْبَسَهُمْ حُلَلًا مُزَرْكَشَةً أَنيقَةَ التَّطْريزِ. ثُمَّ سارَ في مَوْكِبِهِ يَخْتالُ عَلى فَرَسِهِ الأَصيلَةِ، وَخُدّامُهُ الثَّلاثَةُ يَتْبَعونَهُ في صَفٍّ، إلى قَصْرِ أَميرِ الأُخَيْضِرِ.





وَأَمامَ بَوّابَةِ القَصْرِ اعْتَرَضَ الحُرّاسُ مَسْعودًا مُسْتَفْسِرينَ عَنْ هُوِيَّتِهِ وَغَرَضِهِ. لٰكِنَّ الحَطّابَ أَجابَهُمْ بِهُدوءٍ وَرَصانَةٍ: «مُهِمَّتي خاصَّةٌ بِالأَميرِ فَقَطْ.» وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِ الحُرّاسِ أَمامَ هٰذِهِ الرَّصانَةِ وَالفَخامَةِ وَجَلالِ المَوْكِبِ إِلّا الإِذْعانُ، فَأَدْخَلوهُ وَمَنْ مَعَهُ.

وَفي حَضْرَةِ الأَميرِ، مُحاطًا بِوُزَرائِهِ وَمُسْتَشاريهِ، جَلَسَ مَسْعودٌ يَنْتَظِرُ أَنْ يَنْتَهِيَ الأَميرُ مِنْ سَماعِ مَظالِمِ النّاسِ وَمَطالِبِهِمْ. وَحينَ جاءَ دَوْرُهُ في الكَلامِ، تَقَدَّمَ الحَطّابُ مِنَ الأَميرِ قائِلًا: «بِالنِّيابَةِ عَنْ وَلِيِّ وَوَلَدي شِرْوان أَبي الدُّبّاءِ جِئْتُ أَطْلُبُ لَهُ يَدَ ابْنَتِكُمْ لِلزَّواجِ.»

فَتَجَهَّمَ وَجْهُ الأَميرِ غَضَبًا، وَرانَ عَلى الدّيوانِ صَمْتٌ رَهيبٌ لِهٰذا الطَّلَبِ المُهينِ مِنْ شَخْصٍ غَريبٍ.

فَمالَ الأَميرُ عَلى كَبيرِ وُزَرائِهِ وَغَمْغَمَ: «أَبْعِدْ عَنِّي هٰذا الأَبْلَهَ الوَقِحَ! وَأْمُرِ الجَلّادَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ!»

لٰكِنَّ كَبيرَ الوُزَراءِ هَدَّأَ مِنْ غَضَبِ أَميرِهِ قائِلًا: «بَلِ اقْبَلْ يا مَوْلايَ طَلَبَ هٰذا الأَبْلَهِ الوَقِحِ، شَرْطَ أَنْ يَقومَ وَلِيُّهُ بِمُهِمَّةٍ تَجْعَلُها شِبْهَ مُسْتَحيلَةٍ. وَحينَ يَفْشَلُ، يَكونُ لَنا في ضَرْبِ عُنُقِ مَوْلاهُ مُبَرِّرٌ.»

فَراقَتِ الفِكْرَةُ لِلْأَميرِ الَّذي خاطَبَ الحَطّابَ قائِلًا: «إِنِ اسْتَطَعْتَ وَوَلِيُّكَ بِناءَ قَصْرٍ مِنَ الذَّهَبِ بَيْنَ قَصْري وَمَنْزِلِكَ في ثَلاثَةِ أَيّامٍ تَكونُ ابْنَتي زَوْجَةً لِوَلِيِّكَ؛ وَإِنْ فَشِلْتَ فَمَوْتًا تَموتُ.»

وَحَشْرَجَ الحَطّابُ شُكْرَهُ لِلْأَميرِ، وَغادَرَ الدّيوانَ ذاهِلًا مَشْدوهًا، وَهُوَ يَقولُ في نَفْسِهِ «إِنَّها النِّهايَةُ وَلا شَكَّ. فَهٰذِهِ المُهِمَّةُ مُسْتَحيلَةٌ – ما أَقْصَرَ هٰذِهِ الأَيّامَ الثَّلاثَةَ! بَلْ ما أَطْوَلَها!»





وَلاحَظَتْ زَوْجَةُ الحَطّابِ ما بِهِ مِنْ غَمٍّ، فَأَخْبَرَها بِما جَرى. لٰكِنَّها طَمْأَنَتْهُ قائِلَةً: «اِنْتَظِرْ ما يَقولُهُ شِرْوان. وَلِكُلِّ حادِثٍ حَديثٌ.»

وَأَوى مَسْعودٌ باكِرًا إلى فِراشِهِ. لكِنَّهُ ظَلَّ يَتَقَلَّبُ قَلَقًا بِانْتِظارِ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. وَفي المَوْعِدِ إيّاهُ، سَمِعَ الدُّبّاءَةَ تُناديهِ: «عَمّ مَسْعود. عَمّ مَسْعود! ماذا جَرى في لِقائِكَ الأَميرَ بِالأَمْسِ؟». فَقَصَّ الحَطّابُ ما تَمَّ، وَالأَسى يَعْصِرُ قَلْبَهُ عَلى مَطْلَبِ الأَميرِ التَّعْجيزِيِّ. لكِنَّ أَبا الدُّبّاءِ هَدَّأَ رَوْعَهُ باسِمًا وَهُوَ يَهْمِسُ: «هٰذا مَطْلَبٌ حَقيرٌ أَمامَ شِرْوان ابْنِ مَلِكِ الجانِ. أَما سَمِعْتَ بِمِصْباحِ عَلاءِ الدّينِ وَبِساطِ الرّيحِ وَخاتَمِ الشّاطِرِ خَضِر وَخُرْجِهِ؟». وَصَمَتَ الصَّوْتُ، وَالدُّبّاءَةُ فَوْقَ رَفِّها اسْتَقَرَّتْ.

وَحِيْنَ أَفاقَ الحَطّابُ صَباحَ اليَوْمِ التّالي أَسْرَعَ إلى النّافِذَةِ عَلَّهُ يَرى بَوادِرَ العَمَلِ عَلى إنْجازِ الصَّرْحِ الذَّهَبِيِّ – مُمْتَدًّا مِنْ مَنْزِلِهِ إلى قَصْرِ الأَميرِ. لكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ سِوى الزُّقاقِ القَديمِ وَحَوانيتِهِ الرَّثَّةِ. وَكَذٰلِكَ فَعَلَ الحَطّابُ في اليَوْمِ الثّاني – فَأَخَذَ يُراوِدُهُ القَلَقُ حينَما لَمْ يَجِدْ أَنَّ شَيْئًا قَدْ تَغَيَّرَ!

وَفي صَباحِ اليَوْمِ الثّالِثِ أَفاقَ مَسْعودٌ عَلى نُورٍ أَصْفَرَ غامِرٍ يَمْلأُ غُرْفَتَهُ. فَقَفَزَ إلى النّافِذَةِ لِيَرى العَجَبَ العُجابَ! . فَأَمامَ ناظِرَيْهِ، وَإلى المَدى البَعيدِ، قامَ صَرْحٌ ضَخْمٌ مِنْ صَفائِحِ الذَّهَبِ المُطَعَّمَةِ بِالجَواهِرِ – نَوافِذُهُ مِنَ المَرْمَرِ وَأَرْضُهُ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ.



وَلَمْ يَكُنِ الأَميرُ أَقَلَّ دَهْشَةً مِنَ الحَطّابِ حِيْنَ انْعَكَسَتْ عَلى نَوافِذِ قَصْرِهِ أَنْوارُ الصَّرْحِ الذَّهَبِيِّ الفَخْمِ الّذي قامَ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَصَباحٍ.

وَحِيْنَ أَفاقَ الأَميرُ مِنْ دَهْشَتِهِ اسْتَدْعى كَبيرَ وُزَرائِهِ وَأَمَرَهُ بِاسْتِحْضارِ الرَّجُلِ، باني القَصْرِ، وَتَجْهيزِ المُحامينَ وَالعُدَّةِ لِعَقْدِ قِرانِ ابْنَتِهِ دُونَ تَأْخيرٍ.

وَحَضَرَ مَسْعودُ إِلى ديوانِ الأَميرِ عَبْرَ مَمَرّاتِ الصَّرْحِ الذَّهَبِيِّ وَحُجُراتِهِ الرّائِعَةِ. فَاسْتَقْبَلَهُ الأَميرُ مُعانِقًا وَقالَ: «فَلْنَعْقِدْ زَواجَ ابْنَتي عَلى وَلِيِّكَ الآنَ. وَلْنُحَدِّدْ عَلى التَّوِّ مَوْعِدًا لِزِفافِهِما.»

وَوافَقَ الحَطّابُ عَلى ذلِكَ مَبْدَئِيًّا، بِانْتِظارِ اسْتِشارَةِ وَلِيِّهِ (وَمُتَبَنّاهُ) حَوْلَ تَرْتيباتِ الزِّفافِ. وَهُوَ طَبْعًا لَمْ يُخْبِرِ الأَميرَ عَنْ طَبيعَةِ شِرْوان – مُتَقَمِّصِ الدُّبّاءَةِ.





وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَقَلَ الحطّابُ إلى الدبّاءَةِ أَخْبارَهُ الطَّيِّبَةَ. وَهُوَ لَمْ يُخْفِ قَلَقَهُ حَوْلَ هذا التَّكافُؤِ الزَّوْجِيِّ بَيْنَ ابْنَةِ الأَميرِ وَأَبي الدُّبّاءِ.

«شُكْرًا يا عَمّاه» رَدَّ صَوْتُ الدُّبّاءَةِ – بَيْنَما انْهَمَرَ مَزيدٌ مِنَ القِطَعِ الرَّنّانَةِ في كَفَّيِ العَمِّ مَسْعودٍ. «أَمّا بِخُصوصِ ما يَجولُ في خاطِرِكَ، فَلا عَلَيْكَ. غَدًا سَأَتَقَدَّمُ إلى شَريكَةِ حَياتي على هَيْئَةِ البَشَرِ.»

وَهكَذا كانَ! فَفي اليَوْمِ التّالي بَيْنَما كانَتِ الأَميرَةُ لَميس في حُجْرَتِها في الطّابَقِ العُلْوِيِّ مِنَ القَصْرِ لَحَظَتْ عُصْفورًا صَغيرًا يَتَقَفَّزُ على شُرْفَتِها وَهُوَ يُغَرِّدُ بِأَحْلى الأَنْغامِ، ثُمَّ وَثَبَ مُقْتَرِبًا إلى حَيْثُ تَجْلِسُ. وافْتُتِنَتِ الأَميرَةُ بِالعُصْفورِ الأَليفِ فَمَدَّتْ يَدَها إِلَيْهِ بِرِفْقٍ.

وَقَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ انْتَفَضَ العُصْفورُ بِشِدَّةٍ ؛ وَمِنْ سَحابَةِ الرِّيشِ المُتَناثِرِ ، وَفي لَمْحِ البَصَرِ ، تَجَسَّدَ أَمامَ الأَميرَةِ أَميرٌ وَسيمٌ في أَبْهى لِباسٍ .

وَارْتَعَبَتِ الأَميرَةُ لِما رَأَتْ . وَكادَتْ تَسْتَغيثُ بِحُرّاسِ القَصْرِ لَوْلا أَنْ بادَرَها الأَميرُ قائِلًا : «صَهْ . أَنا خَطيبُكِ يا لَميس . أَنا الرَّجُلُ الَّذي يُريدُهُ وَالِدُكِ زَوْجًا لَكِ . دَعيني عَلى الأَقَلِّ أُقَدِّمْ لَكِ هَدايايَ .»

وَصَفَّقَ الأَميرُ مَرَّتَيْنِ ، فَانْشَقَّتْ أَرْضُ الغُرْفَةِ عَنْ دَرَجٍ رُخامِيٍّ صَعِدَهُ رَتَلٌ مِنَ الخَدَمِ في أَفْخَرِ الحُلَلِ يَحْمِلونَ الحَرائِرَ وَالجَواهِرَ وَالعُطورَ النَّفيسَةَ ، وَخاتَمَ زَواجٍ مُتَأَلِّقًا مِنَ الذَّهَبِ المُرَصَّعِ بِالياقوتِ . ثُمَّ عادَ الخَدَمُ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا ، وَعادَتْ أَرْضُ الغُرْفَةِ كَما كانَتْ .

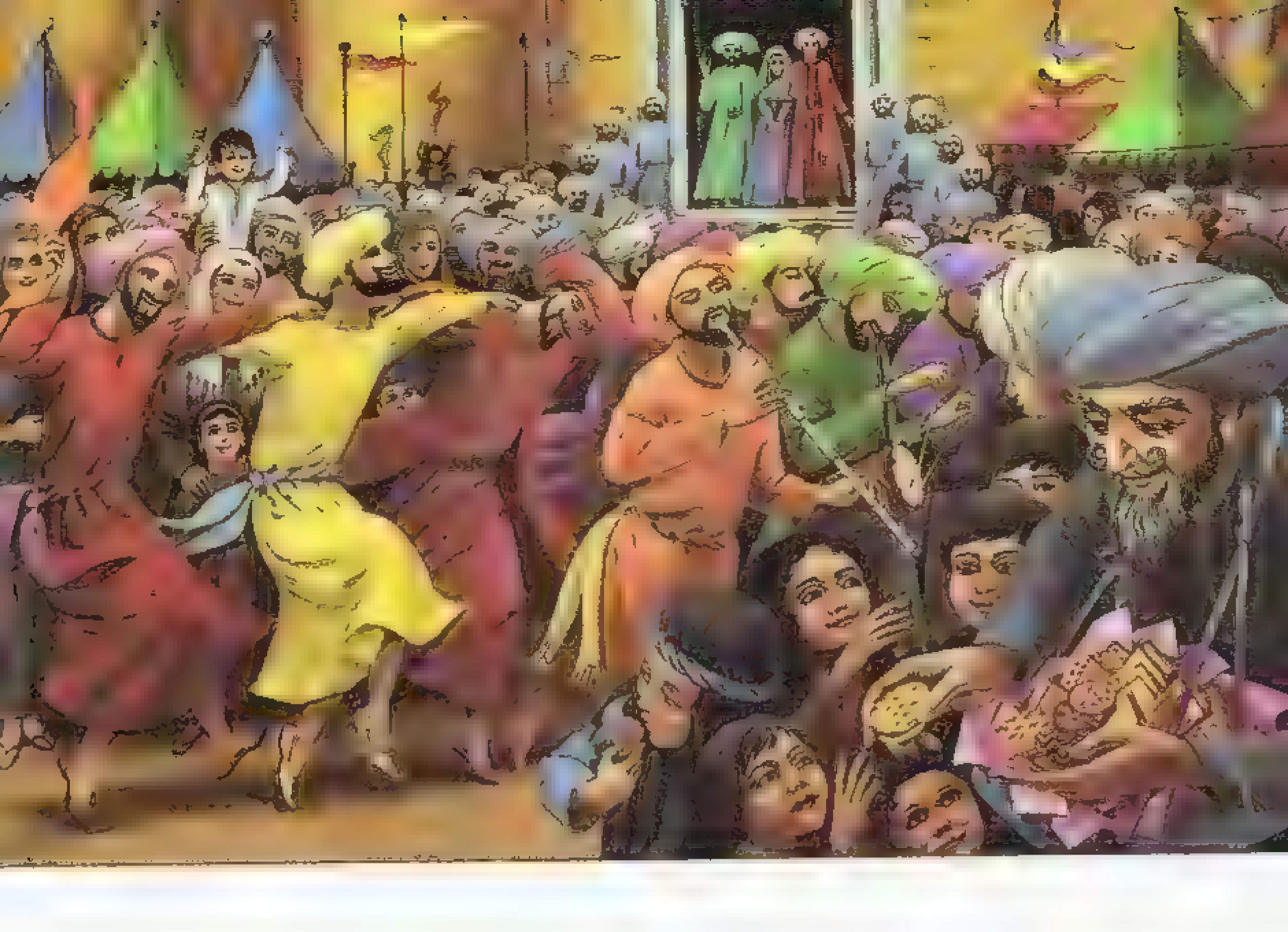




وَجَلَسَتِ الأَميرَةُ تَنظُرُ ذاهِلَةً إلى الأَميرِ وَحَوْلَها تِلْكَ النَّفائِسُ الأَخّاذَةُ.

وَطَمْأَنَها الأَميرُ قائِلًا: «لَعَلَّكِ تَتَوَجَّسينَ خيفَةً مِنْ قُوايَ الخارِقَةِ. لٰكِنِّي صَريحٌ وَشَريفٌ، وَوَدِدْتُ أَنْ تَعْلَمي مُسْبَقًا أَنِّي رَجُلٌ غَيْرُ عادِيٍّ. وَأُريدُكِ أَنْ تَثِقي يا عَزيزَتي أَنَّ القُدْرَةَ الَّتي أَعْتَزُّ بِها فَوْقَ كُلِّ قُوايَ هِيَ القُدْرَةُ عَلى إِسْعادِكِ. وَما أَطْلُبُهُ مِنْكِ قَبْلَ زَواجِنا وَبَعْدَهُ هُوَ أَنْ تَعِديني بِعَدَمِ ذِكْرِ أَيِّ شَيْءٍ عَنْ قُوايَ الخارِقَةِ – لا إِيجابًا بِتَأْكيدِها، وَلا سَلْبًا بِنَفْيِها – وَإِلّا اضْطُرِرْتُ آسِفًا لِفِراقِكِ، وَلا خِيَرَةَ لِي في ذٰلِكَ.»

فَرَدَّتِ الأَميرَةُ مُطْمَئِنَّةً: «أَعِدُكَ!»



وَتَحَدَّدَ مَوْعِدُ الزِّفافِ بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إعْلانِ الخُطوبَةِ. وَكانَ العُرْسُ رائِعًا – يَليقُ بِأَميرَةِ وَأَميرِ القَصْرِ الذَّهَبِيِّ – دُعِيَ إلَيْهِ عِلْيَةُ القَوْمِ مِنَ البُلدانِ المُجاوِرَةِ، وَدامَتِ الاِحْتِفالاتُ وَالأَفْراحُ أُسْبوعًا كامِلًا بِفَخامَةٍ لا تُضاهَى. فَأَهْلُ الأُخَيْضِرِ رَقَصوا في الشَّوارِعِ عَلى أَنْغامِ الطُّبولِ وَالمَزاميرِ؛ وَالطُّهاةُ تَنافَسوا في تَقْديمِ أَشْهَى الأَطْعِمَةِ وَالحَلْوَياتِ. وَأُقيمَتْ سِباقاتُ الخَيْلِ وَالهُجْنِ نَهارًا، وَأُنْشِدَتْ قَصائِدُ الحُبِّ وَالمُغامَراتِ لَيْلًا حَتّى ساعاتِ الفَجْرِ.

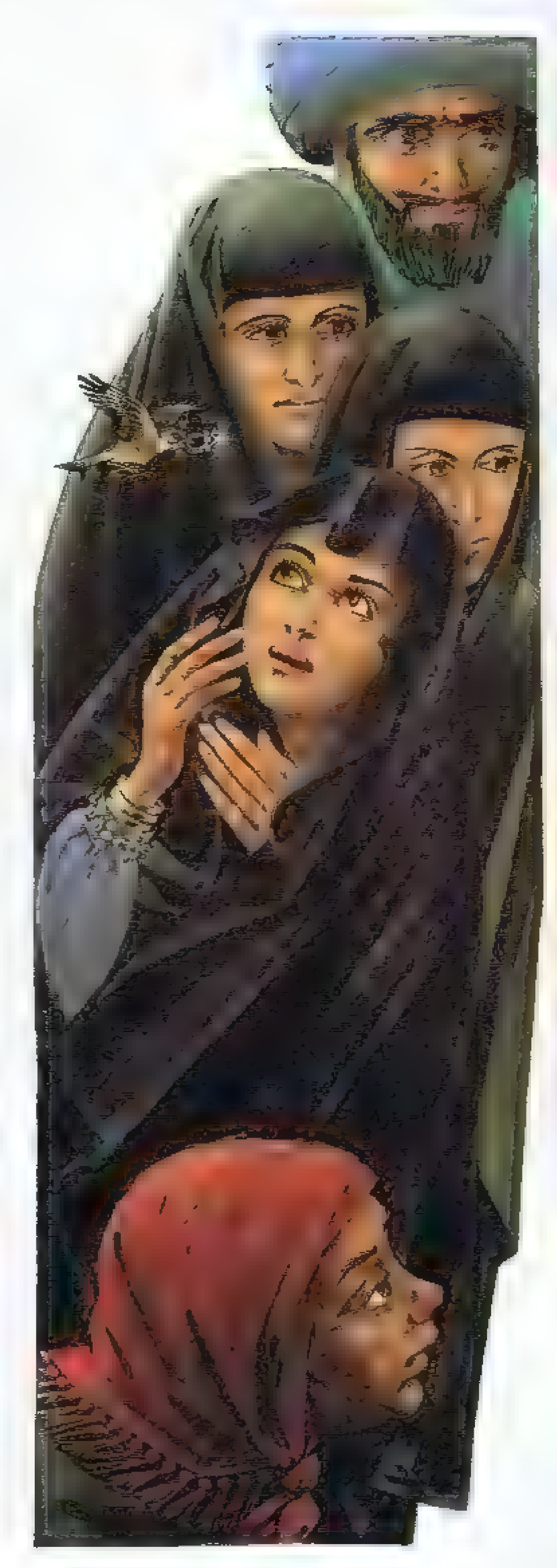
وَكانَ الأَميرانِ شِرْوان وَلَميس مِحْوَرَ هٰذِهِ الاِحْتِفالاتِ وَكانا بِاعْتِرافِ الجَميعِ أَجْمَلَ عَروسَيْنِ عَرَفَتْهُما المِنْطَقَةُ بِأَسْرِها.

وَعاشَ الزَّوْجانِ في سَعادَةٍ غامِرَةٍ عامًا وَبَعْضَ عامٍ. وَذاتَ يَوْمٍ رَغِبَتِ الأَميرَةُ في زِيارَةِ السُّوقِ لِشِراءِ بَعْضِ الحَرائِرِ لِثِيابِها الصَّيْفِيَّةِ. وَحاوَلَ خَدَمُها ثَنْيَها عَنْ ذٰلِكَ عارِضينَ أَنْ يَحْضُرَ تُجّارُ الحَريرِ إلى القَصْرِ لِعَرْضِ ما لَدَيْهِمْ؛ لٰكِنَّ الأَميرَةَ أَصَرَّتْ عَلى الذَّهابِ.

وَلَبِسَتِ الأَميرَةُ فاخِرَ ثِيابِها وَتَحَجَّبَتْ بِحَيْثُ لا يَبْدو إلّا بَعْضُ وَجْهِها. وَقَصَدَتِ السُّوقَ بِرِفْقَةِ ثُلَّةٍ مِنْ خادِماتِها وَعَشَرَةٍ مِنْ حَرَسِ القَصْرِ.

وَكانَ لا بُدَّ لِزِيارَةٍ عَلى هٰذا المُسْتَوى أَنْ تُحْدِثَ هَرْجًا وَمَرْجًا عارِمَيْنِ في السُّوقِ.





وَبَلَغَ الاِضْطِرابُ في السُّوقِ دَرَجَةً جعلَتْ بَعْضَ رُوّادِ السُّوقِ يَتَذَمَّرونَ بِصَوْتٍ عالٍ لِتَعَذُّرِ تَنَقُّلِهِمْ فيهِ لِقَضاءِ حاجاتِهِمْ.

فَما كانَ مِنْ عَجوزٍ شَمْطاءَ، حَسودٍ لِما تَتَمَتَّعُ بِهِ الأَميرَةُ مِنْ جَمالٍ وَجاهٍ، إِلّا أَنْ عَلَّقَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ «وَلِماذا تَتَظاهَرُ الأَميرَةُ بِأَنَّها امْرَأَةٌ عادِيَّةٌ مِثْلُنا تَأْتي إلى السُّوقِ لِتَتَحَوَّجَ. لِماذا لا يَسْتَخْدِمُ أَميرُها السّاحِرُ قُواهُ الخارِقَةَ فَيُريحُنا مِنْ هٰذا الإِزْعاجِ؟»

وَاغْتاظَتِ الأَميرَةُ مِنْ هذا التَّعْليقِ المُثيرِ فَرَدَّتْ بِحِدَّةٍ: «زَوْجي لَيْسَ بِساحِرٍ يا هٰذِهِ. وَمِنَ السُّخْفِ أَنْ يَصْدُرَ مِنْكِ مِثْلُ هٰذا الكَلامِ!»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ غَطَّ فَوْقَ الأَميرَةِ عُصْفورٌ وَهَمَسَ في أُذُنِها مُعاتِبًا: «أَلَمْ تَعِديني بِعَدَمِ ذِكْرِ شَيْءٍ عَنْ قُوايَ الخارِقَةِ سَلْبًا أَوْ إِيجابًا؟ وَداعًا أَيَّتُها الحَبيبَةُ، فَفِراقُكِ صارَ مَحْتومًا عَلَيَّ.» وَاخْتَفى العُصْفورُ بَعْدَ أَنِ انْتَزَعَ مِنْ إِصْبَعِ الأَميرَةِ خاتَمَ الياقوتِ.



وَكانَ فِراقُ الأَميرِ صَدْمَةً أَحْزَنَتِ الأَميرَةَ وَآلَمَتْها فَصارَتْ تَقْضي أَيّامًا كَثيرَةً وَحيدَةً تَبْكي في شَقَّتِها – فَلا تَسْمَحُ لِأَحَدٍ بِزِيارَتِها سِوى زَوْجَةِ مَسْعودٍ الَّتي كانَتْ تُشارِكُها سِرَّها وَأَساها.

وَبَعْدَ قُرابَةِ العامِ قَرَّرَتِ الأَميرَةُ أَنْ تَقومَ بِعَمَلٍ قَدْ يَحْمِلُ لَها بَريقَ أَمَلٍ في اسْتِرْجاعِ سَعادَتِها. فَأَقامَتْ حَمّامًا فاخِرًا في البَلْدَةِ مَقْصورًا عَلى النِّساءِ. وَجَعَلَتِ الدُّخولَ إِلى الحَمّامِ مَجّانِيًّا لِكُلِّ مَنْ تُخْبِرُها قِصَّةً أَوْ حِكايَةً شَهِدَتْ أَحْداثَها – أَمَلًا أَنَّها بِذٰلِكَ تَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ أَخْبارِ زَوْجِها.

وَذاتَ يَوْمٍ حَضَرَتْ إلى الحَمّامِ امْرَأَةٌ عَجوزٌ ، فَرَأَتِ الأَميرَةَ في المَدْخَلِ تَسْتَقْبِلُ زَبائِنَها . فَقالَتِ العَجوزُ : «يَقولونَ إِنِّي اسْتَطيعُ الإِسْتِحْمامَ هُنا مَجّانًا .» وَرَدَّتِ الأَميرَةُ : «هذا صَحيحٌ ! لٰكِنْ عَلَيْكِ أَنْ تَحْكي لي حِكايَةً قَبْلَ ذٰلِكَ .»

فَأَطْرَقَتِ العَجوزُ بُرْهَةً ثُمَّ قالَتْ بِبَراءَةٍ : «ثِيابي وَسِخَةٌ أَسْتَحي مِنْ لُبْسِها في هٰذا المَكانِ . سَأَنْزِلُ إِلى النَّهْرِ أَغْسِلُها . وَسَأَعودُ غَدًا وَقَدْ فَكَّرْتُ في حِكايَةٍ تَليقُ بِالمَقامِ ، أَحْكيها لَكِ ؛ إِلى اللِّقاءِ .»

وَنَزَلَتِ العَجوزُ إِلى شاطِئِ النَّهْرِ وَراحَتْ تَدْعَكُ ثِيابَها عَلى جانِبٍ مِنْهُ .





وَبَيْنَما العَجوزُ تَغْسِلُ ثِيابَها شاهَدَتْ مِنْ مَوْقِعِها عَلى الشّاطِئِ حَدَثًا غَريبًا. لَقَدْ رَأَتْ دِيكًا صَغيرًا، أَحْمَرَ العُرْفِ أَزْرَقَ رِيشاتِ الذَّيْلِ مُخْضَرَّها، يَبْرُزُ فَجْأَةً مِنْ وَسَطِ النَّهْرِ وَيَسْبَحُ إلى الشّاطِئِ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْها. وَهُناكَ مَلأَ زِقَّيْنِ، كانَ يَحْمِلُهُما عَلى ظَهْرِهِ، بِالماءِ ثُمَّ سَبَحَ عائِدًا إلى مُنْتَصَفِ النَّهْرِ حَيْثُ غاصَ بَعيدًا عَنِ الأَنْظارِ.

وَمَسَّدَتِ العَجوزُ ذَقْنَها تَأَمُّلًا وَدَهْشَةً، وَقالَتْ في نَفْسِها: «هٰذا مَوْضوعُ قِصَّةٍ شَيِّقٌ لَوْ تابَعْتُهُ. لَأَنْتَظِرَنَّ إلى أَنْ يَنْبطَ هٰذا الدِّيكُ ثانِيَةً فَأَتَقَصّى حِكايَتَهُ وَأَسْرارَ زِقَّيْهِ.»

وَلَمْ يَطُلِ انْتِظارُ العَجوزِ إذْ لَمَحَتِ الدِّيكَ يَنْبطُ ثانِيَةً بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ فَيَسْبَحُ إلى الشّاطِئِ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْها وَيَمْلأُ زِقَّيْهِ بِالماءِ. وَانْقَضَّتِ العَجوزُ بِسُرْعَةٍ عَلى الدِّيكِ وَتَمَسَّكَتْ

بِذَيْلِهِ.

وَسَبَحَ الدّيكُ جارًّا مَعَهُ العَجوزَ إلى مُنْتَصَفِ النَّهْرِ، ثُمَّ غاصَ وَغاصَتْ مَعَهُ العَجوزُ عَبْرَ طَبَقاتِ الماءِ الصّافِيَةِ الزَّرْقاءِ - مُخَلِّفَيْنِ وَراءَهُما رَتَلًا مِنَ الفَقاقيعِ.

وَتابَعَ الدّيكُ الغَوْصَ بِكامِلِ قُواهُ، وَالعَجوزُ مُتَمَسِّكَةٌ بِذَيْلِهِ بِكُلِّ إِصْرارٍ حَتّى عَبَرا نَفَقًا مِنَ الصَّخْرِ قادَهُما إلى بُحَيْرَةٍ رائِقَةٍ هادِئَةٍ سُرْعانَ ما طَفَوا عَلى سَطْحِها.

وَالْتَقَطَتِ العَجوزُ أَنْفاسَها وَهِيَ تَنْظُرُ إلى القَصْرِ القِلاعِيِّ الرّائِعِ أَمامَها بِأَبْراجِهِ وَأَسْوارِهِ وَشُرُفاتِهِ وَالجِسْرِ الكَبيرِ المُتَحَرِّكِ المُمْتَدِّ عَبْرَ خَنْدَقِ الماءِ إلى بَوّابَةِ القَصْرِ.





كانَ الجِسْرُ مُنْبَسِطًا وَالبَوّابَةُ مَفْتوحَةً . ولا أَثَرَ لِلْحَياةِ سِوى هَرْوَلَةِ الدّيكِ مُنْطَلِقًا بِزِقْبِهِ . فَدَخَلَتِ العَجوزُ إلى القَصْرِ . وَفي البَهْوِ الرَّئيسِيِّ رَأَتْ مائِدَةً طَويلَةً رُتِّبَ فَوْقَها أَرْبَعونَ طَبَقًا وَأَرْبَعونَ قَدَحًا . وَكانَ الجَوُّ عابِقًا بِرائِحَةِ الطَّعامِ الزَّكِيَّةِ المُنْطَلِقَةِ مِنَ المَطْبَخِ – حَيْثُ تُرِكَتِ القُدورُ تَغْلي وَالشِّواءُ في سَفافيدِهِ يَتَقَلّى عَلى مَناقِلِ الفَحْمِ المُتَوَهِّجَةِ . لكِنْ هُنا أَيْضًا لَمْ يَبْدُ أَثَرٌ لِأَحَدٍ !

وَحَدَّثَتِ العَجوزُ نَفْسَها قائِلَةً : «بِالتَّأْكيدِ ، هُناكَ احْتِفالٌ عَلى وَشْكِ أَنْ يَبْدَأَ . وَعَلَيَّ أَنْ أَخْتَبِئَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الضُّيوفُ .»



فَقَبعَتِ العَجوزُ تَحْتَ كَنَبَةٍ كَبيرَةٍ وَراحَتْ تَرْقُبُ بِانْتِظارٍ. وَفَجْأَةً عَجَّتِ القاعَةُ بِحَفيفِ الأَجْنِحَةِ وَحَطَّ أَرْبَعونَ عُصْفورًا حَوْلَ المائِدَةِ أَمامَ ناظِرَيْها. وَهُناكَ تَهادَتِ العَصافيرُ لَحْظَةً قَبْلَ أَنْ يَخْلَعَ كُلٌّ غِطاءَهُ الرِّيشِيَّ وَيَنْتَصِبَ في لَمْحِ البَصَرِ فَتًى فائِقَ الوَسامَةِ وَالبَهاءِ.

وَجَلَسَ الشُّبّانُ إلى المائِدَةِ فَأَكَلوا مِمّا قَدَّمَهُ لَهُمْ رَتَلٌ مِنَ الخَدَمِ في زِيٍّ بَهِيٍّ مُوَحَّدٍ. وَتَجاذَبَ الشُّبّانُ أَطْرافَ الحَديثِ بِهُدوءٍ حَتّى انْتَهَوْا مِنْ طَعامِهِمْ. ثُمَّ نَهَضوا عَنِ المائِدَةِ فُرادَى فَصَعِدوا دَرَجًا إلى الطّابِقِ العُلْوِيِّ في القَصْرِ.

وَحينَ غادَرَ آخِرُ الشُّبّانِ القاعَةَ وَلَمْ يَعُدْ لِلْخَدَمِ المُوَحَّدي الزِّيِّ أَثَرٌ، انْسَلَّتِ العَجوزُ

مِن تَحْتِ الكَنَبَةِ. وَراحَتْ تَصْعَدُ الدَّرَجَ زَحْفًا.

وَفي الطَّابَقِ العُلْوِيِّ رَأَتْ دِهْليزًا طَويلًا تَفْتَحُ عَلَيْهِ أَبْوابُ أَرْبَعينَ غُرْفَةً عَلى جانِبَيْهِ. وَفي كُلِّ غُرْفَةٍ مَرَّتْ بِها كانَ الشّاغِلُ أَحَدَ الشُّبّانِ يَقْرَأُ أَوْ يَكْتُبُ أَوْ يَنْظُرُ عَبْرَ النّافِذَةِ أَوْ يَنامُ عَلى فِراشٍ مِنَ القَشِّ غَيْرَ آبِهٍ بِما حَوْلَهُ؛ حَتّى إِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَلْحَظْ مُرورَ العَجوزِ الفُضولِيَّةِ.

وَفي الغُرْفَةِ الأَخيرَةِ اسْتَرْعى انْتِباهَ العَجوزِ شابٌّ وَسيمٌ يَجْلِسُ سانِدًا رَأْسَهُ عَلى إِحْدى يَدَيْهِ يَبْكي بِوَداعَةِ الأَطْفالِ، وَفي يَدِهِ الأُخْرى خاتَمٌ مُتَأَلِّقٌ مِنَ الذَّهَبِ المُرَصَّعِ بِالياقوتِ.



وَاعْتَرى العَجوزَ إحْساسٌ بِأَنَّها قَدْ تَأَخَّرَتْ طَويلًا. وَأَنَّها قَدْ تُخْفِقُ في العَوْدَةِ إلى عالَمِ الحَقيقَةِ ما لَمْ تَعُدْ عَلى التَّوِّ إلى حَيْثُ تَرَكَتِ الدّيكَ. فَغادَرَتِ القَصْرَ عَلى عَجَلٍ إلى البُحَيْرَةِ بَحْثًا عَنِ الدّيكِ.

وَلَمْ يَطُلْ بِها الوَقْتُ حَتّى ظَهَرَ الدّيكُ بِزَقّيْهِ؛ وَمَرَّةً ثانِيَةً تَمَسَّكَتِ العَجوزُ بِذَيْلِ الدّيكِ. فَأَعادَها هٰذا إلى ضِفَّةِ النَّهْرِ حَيْثُ كَوْمَةُ غَسيلِها.

وَانْطَلَقَتِ العَجوزُ مِنَ النَّهْرِ مُباشَرَةً إلى الحَمّامِ حَيْثُ راحَتْ تَقُصُّ عَلى الأَميرَةِ الحَسْناءِ ما جَرى لَها. وَكانَ اهْتِمامُ الأَميرَةِ بِما سَمِعَتْهُ عَظيمًا.

وَسَأَلَتِ الأَميرَةُ بِشَغَفٍ «تَقولينَ خاتَمًا مُرَصَّعًا بِالياقوتِ؟ صِفي لي هٰذا الشّابَّ أَيَّتُها الأُمُّ الطَّيِّبَةُ، أَرْجوكِ!»





وَقَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ العَجوزُ مِنْ تَفاصيلِ وَصْفِ الشّابِّ ، قاطَعَتْها الأَميرَةُ بِلَهْفَةٍ «إِنَّهُ هُوَ . زَوْجي بِالتَّأْكيدِ ! أَرْجوكِ أَنْ تَأْخُذيني إِلَيْهِ الآنَ .»

وَكانَ الظَّلامُ قَدْ بَدَأَ يُخَيِّمُ ، فَارْتَأَتِ العَجوزُ أَنْ تَنْتَظِرا إلى الغَدِ . وَفي الغَدِ بَكَّرَتِ الامْرَأَتانِ إلى النَّهْرِ بِانْتِظارِ الدّيكِ في المَوْقِعِ نَفْسِهِ . وَبَرَزَ الدّيكُ مِنْ مُنْتَصَفِ النَّهْرِ وَسَبَحَ إلى الضَّفَّةِ لِيَمْلَأَ زِقَّيْهِ ، كَما تَوَقَّعَتا . وَفي لَحْظَةِ العَوْدَةِ تَلَقَّطَتِ العَجوزُ بِذَيْلِ الدّيكِ وَتَمَسَّكَتِ الأَميرَةُ بِطَرَفِ ثَوْبِ العَجوزِ ، وَغاصُوا ثَلاثَتُهُمْ إلى أَعْماقِ النَّهْرِ عَبْرَ طَبَقاتِ



الماءِ الصّافِيَةِ!

وَفي بَهْوِ القَصْرِ كانَ كُلُّ شَيْءٍ كَما وَصَفَتْهُ العَجوزُ – مائِدَةُ الأَرْبَعينَ جاهِزَةٌ لِلضُّيوفِ، وَالجَوُّ يَعْبَقُ بِرَوائِحِ الأَطايِبِ الشَّهِيَّةِ. وَلَمّا لَمْ تَجِدا أَحَدًا في القاعَةِ اخْتَبَأَتا تَحْتَ الكَنَبَةِ الكَبيرَةِ عَيْنِها، وَراحَتا تَنْتَظِرانِ.

وَبَعْدَ نُزْهَةٍ لَمْ تَطُلْ، سُمِعَ حَفيفُ الأَجْنِحَةِ في سَماءِ القاعَةِ وَحَطَّتِ العَصافيرُ الأَرْبَعونَ. فَخَلَعَتْ أَكْسِيَتَها الرِّيشِيَّةَ وَتَحَوَّلَتْ في لَمْحِ البَصَرِ إلى أَرْبَعينَ فَتًى فائِقِي الوَسامَةِ.

وَتَعَرَّفَتِ الأَميرَةُ زَوْجَها مِنْ بَيْنِهِمْ، وَكادَتْ تُهْرَعُ إِلَيْهِ لَوْ لَمْ تُوْقِفْها العَجوزُ هامِسَةً: «انْتَظِري حَتّى يَصْعَدوا إلى غُرَفِهِمْ وَإِلّا انْكَشَفَ أَمْرُنا وَضاعَ كُلُّ شَيْءٍ.»

وَبَعْدَ أَنِ انْتَهى الشُّبّانُ مِنْ طَعامِهِمْ وَغادَرَ آخِرُهُمُ القاعَةَ إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ وَهَمَدَ عَجيجُ الخَدَمِ في المَطْبَخِ ، انْسَلَّتِ العَجوزُ مِنْ مَخْبَئِها وَالأَميرَةُ في إِثْرِها وَراحَتا تَصْعَدانِ الدَّرَجَ بِهُدوءٍ ثُمَّ عَبَرَتا الدِّهْليزَ إلى الغُرْفَةِ الأَخيرَةِ.

وَاقْتَرَبَتِ العَجوزُ مِنَ الشّابِّ الّذي كانَ يَجْلِسُ سانِدًا رَأْسَهُ على إِحْدى يَدَيْهِ يَبْكي وَيَتَنَهَّدُ - بَيْنَما يَدُهُ الأُخْرَى تَعْبَثُ بِالخاتَمِ المُرَصَّعِ بِالياقوتِ - فَسَمِعَتْهُ يُناجي نَفْسَهُ مُتَمْتِمًا «هَلْ لي أَنْ أَلْتَقِيَ مَحْبوبَتي لَميس ثانِيَةً !»

فَرَدَّتِ العَجوزُ «وَلِمَ لا ؟» فَتَطَلَّعَ إِلَيْها الشّابُّ مُنْدَهِشًا وَقالَ «لٰكِنَّكِ مِنَ الإِنْسِ ، ما الّذي جاءَ بِكِ إلى هُنا يا امْرَأَةُ؟» فَرَدَّتِ العَجوزُ «شاءَ اللهُ أَنْ يَهْدِيَني إلى غُرْفَتِكَ - وَلَسْتُ وَحْدي ، فَهٰذِهِ زَوْجُكَ بِرِفْقَتي !»

وَقَفَزَ الأَميرُ الشّابُّ سائِلًا بِلَهْفَةٍ «أَيْنَ هِيَ ؟» فَطَمْأَنَتْهُ العَجوزُ بِهُدوءٍ «إِنَّها بِالبابِ يا بُنَيَّ !»



وَتعانَقَ شِروان وَلَميس وَدُموعُ الفَرَحِ تُبَلِّلُ وَجَناتِهِما. وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنا العَجوزِ بِالدَّمْعِ أَيْضًا أَمامَ هٰذا اللِّقاءِ المُؤَثِّرِ.

ثُمَّ تَمالَكَ الأَميرُ نَفْسَهُ وَقالَ مُخاطِبًا زَوْجَتَهُ «اِذْهَبي الآنَ – لَقَدْ أَزَلْتِ الطِّلَّسْمَ عَنِّي بِحُضُورِكِ. غَدًا أَعودُ إِلى قَصْرِنا إِنْسانًا عادِيًّا – وَلَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَنا شَيْءٌ بَعْدَ اليَوْمِ.»

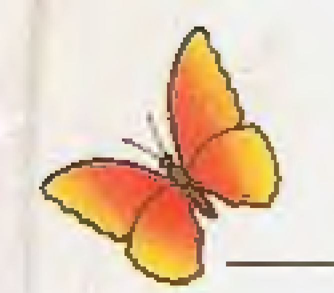
وَهٰكَذا الْتَمَّ الشَّمْلُ وَعادَ الأَميرُ إِلى أَميرَتِهِ، فَعَمَّتِ الفَرْحَةُ أَرْجاءَ البَلْدَةِ، وَجاءَ الأَحِبَّةُ وَالجيرانُ يُشارِكُونَ شِرْوان وَلَميس فَرْحَتَهُما. وَأَشْرَقَتْ بَسَماتُ الرِّضا عَلى شِفاهِ أَميرِ الأَخَيْضِرِ وَكَبيرِ وُزَرائِهِ، كَما عَلى وُجوهِ العَمِّ مَسْعودٍ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدَيْهِ وَالعَجوزِ الطَّيِّبَةِ.



كتب الفراشة - حكايات محبوبة

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح ، ص.ب: ٩٤٥-١١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ،
طبع في لبنان
رقم الكتاب 01 C 196301



كتب الفراشة

حكايات محبوبة ٧ . شروان أبو الدبّاء

في كُتُبِ الفَراشَةِ سَلاسِلُ تَتَناوَلُ أَلْوانًا مِنَ المَوْضوعاتِ في العُلومِ المُبَسَّطَةِ والأَدَبِ القَصَصِيِّ والحَضاراتِ. ويُراعى فيها سِنُّ القارِئِ، مادَّةً وأُسْلوبًا وإِخْراجًا.

كُتُبُ الفَراشَةِ تَمْتازُ بِالتَّشْويقِ الشَّديدِ، وبِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ، وبِمَعارِفَ جَديدَةٍ قَريبَةِ المُتَناوَلِ، وبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ صافِيَةٍ وواضِحَةٍ. إِنَّها كُتُبُ مُطالَعَةٍ مُمْتازَةٌ.

مكتبة لبنان

رقم الكتاب 196301 C 01